

أ/ محمد عيساني - جامعة الجزائر 2 / أبوالقاسم سعد الله
الحياة الثقافية ببعض مدن حوض الشلف خلال العهد العثماني
وبداية الاحتلال الفرنسي

تمهيد:

لم تعرف مدن حوض الشلف التعليم النظامي الحديث لأول مرة، إلا بعد سيطرة القوات الفرنسية على مدن المنطقة مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر واستتباب الأمن لصالحها فعمدت عندئذ إلى انشاء عدة مدارس نظامية من أجل تعليم أبناء الكولون ومن لاذا بهم وذلك لحاجة الادارة الاستعمارية إلى المتعلمين الذين يقومون بخدمة مصالحها، هذا من جهة ومن جهة أخرى استجابة لإلحاح المعمرين المتزايد من أجل تعليم أبنائهم وحرصهم على أن ينالوا بعد ذلك أعلى الرتب، وهكذا ظل ذلك التعليم حكرا على الموالين للفرنسيين ولم تستقد منه الشرائح الاجتماعية العريضة التي لم تكن لتجد ما تسد به الرمق وبات الفقر ملازما لها في ظل سياسة الاقصاء والتهميش المعتمدة من طرف أعوان الادارة الاستعمارية ومن سار في ركابهم، وبعد ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال النصف الأول من القرن العشرين قامت بفتح مدارس التعليم العربي الحر على النهج الغربي^[1] في بعض كبرى مدن حوض الشلف، بيدأنها لم تسطع التوسع في نشاطها التعليمي عبر مناطق حوض الشلف الفسيحة وذلك لقلّة امكانيّتها البشرية والمادية وتضييق الإدارة

الاستعمارية الفرنسية على مشاريعها، ولذا ظل وجودها مقتصرًا على المدن الكبرى أما البوادي الشلفية فلم تر رجال الجمعية ولم تلتق بمعلميها بل لم تسمع حتى عن نشاطهم، ومن حق المرء أن يتساءل كيف كانت مناطق الشلف تعلم وتربي أبنائها قبل الغزو الفرنسي وقبل وصول موجة الحراك الاصلاحى الذي تبنته الجمعية؟ وماهى الطرق التي اتبعتها في ذلك؟

منذ دخول الإسلام إلى بلدان الشمال الإفريقي، شهدت حواضره نظامًا تعليميًا مشابهًا لذلك الذي كان سائدًا في عواصم الخلافة الإسلامية وما جاورها من الأمصار، لكن مع مرور الوقت تراجعت مكانة الدولة الإسلامية على أكثر من صعيد وتراجع معها مستوى المنظومة التعليمية التي باتت برامجها تقليدية بالمرّة، لا تسائر الركب الحضاري ولا تشدّ الهمم لاستشراف المستقبل، بل تؤدي دورًا تلقينيًا يقوم على الحفظ (حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والمتون) وأخذ التعليم طابعًا دينيًا لتركيزه على العلوم الإسلامية بالدرجة الأولى كما يتلقى في المساجد والزوايا، ومدن حوض الشلف لم تكن بدعا من بقية الحواضر الإسلامية في المشرق أو المغرب الإسلاميين، فقد واكبت ذلك التغير الحاصل في المنظومة التعليمية الإسلامية في أوقات الانتصار كما في زمن التراجع والانكسار، ولمعرفة الوضعية التي آل إليها حال التعليم العربي الإسلامي في مدن حوض الشلف كان لا بد من تتبع مراحل تكوين تلك المدن وتطور التعليم بها، وإذا كانت مكانة المدن في عصرنا منبثقة من نشاطها الاقتصادي ودورها السياسي وأهميتها الاستراتيجية فإن شهرة المناطق خلال

الفترات الوسطية والحديثة كان يعزى إلى عدد مدارسها وكذا علمائها ومدى استقطابها لطلبة العلم من كل الأمصار.

ولعل من أهم مدن حوض الشلف مساهمة في النشاط التعليمي والتفاعل الثقافي منذ فترة العصور الوسطى إلى غاية الاحتلال الفرنسي نجد مدينة مليانة وذلك لعدة اعتبارات كونها قريبة من الحواضر الشرقية (الجزائر العاصمة ،والمدية) كما أنها في منأى عن الغزوات القادمة من جهة البحر المتوسط لتحصنها في منتصف جبال زكار علاوة على كونها تقع على قارعة الجادة التي يسلكها الحجيج المغاربة وهي تقع عند منتصف المسافة بين مراكش وتونس وقد استمدت مكانتها أيضا من عمقها التاريخي حينما اختطها بلكين بن زيري الصنهاجي ، فضلا عن استقرار الجالية الأندلسية بها في وقت لاحق وذلك منذ اشتعال حروب الاسترداد.

1- مليانة:

1-1 الموقع والمساحة:

تقع مدينة مليانة المعروفة بعش العقاب عند منتصف السفوح الجنوبية لجبل زكار الغربي على ارتفاع يقدر بحوالي 700م على مستوى سطح البحر ، وهي بذلك تشرف على سهول الشلف الأعلى، وتبعد عن الجزائر العاصمة بـ 120 كلم، كما تقع إلى الشرق من مدينة الشلف بنحو 99 كلم. تتربع على مساحة قدرها 23773 هكتار، كما أنها تطل على واد الشلف الذي يجري إلى الجنوب منها، تحفها حدائق غناء من كل جهة.^[2]

إن هذا الموقع المتميز جعلها تتحكم في الممر الطبيعي الرابط بين الجزائر ووهران باعتبارها تحتل منطقة استراتيجية تراقب من خلالها على المناطق المجاورة لها، فضلاً أن هذا الموقع جعل منها قلعة حصينة محمية من الخلف أي من جهة الشمال بجمال زكار وتستقبل سهول وادي الشلف.^[3]

1-2 مليانة في العهد الإسلامي:

بالرغم من كونها (أي مليانة) مدينة موعلة في القدم فإن شهرتها زادت في العهد الإسلامي عما كانت عليه في السابق، وذلك عندما اختطها بلكين ابن زيري بن مناد الصنهاجي، حيث يقول ابن خلدون "...اختط زيري مدينة أشير للتحصن بها في سفح الجبل المسمى تيطرا لهذا العهد، حيث موطن حصين، وحصنها بأمر المنصور وكانت من أعظم مدن المغرب، واتسعت بعد ذلك خطتها واستبحر عمرانها ورحل إليها العلماء والتجار من القاصية، وحين نازل أبا إسماعيل المنصور أبا يزيد لقلعة كتامة جاءه زيري في قومه ومن انظم إليه من حشود البربر، وعظمت نكايته في العدو وكان الفتح، وصحبه المنصور إلى أن انصرف من المغرب ووصله بصلات سنية، وعقد له على قومه وأذن له في اتخاذ القصور والمنازل والمحميات بمدينة أشير وعقد له على تاهرت وأهمالها.

ثم اختط ابنه بلكين بأمره وعلى عهد مدينة الجزائر المنسوبة لبني مزغنة بساحل البحر، ومدينة مليانة بالعدوة الشرقية من الشلف ومدينة لمدونة وهم بطن من بطون صنهاجة وهذه المدن هذا العهد من أعظم مدن المغرب الأوسط"^[4].

1-3 مليانة في عيون الرحالة والجغرافيين والمؤرخين العرب المسلمين و الأجانب:

لقد مر بمدينة مليانة العديد من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين والأطباء من العرب والعجم، وقد لقيت إعجاب البعض منهم، فدونوا انطباعاتهم عنها متحدثين عن موقعها الاستراتيجي المتميز ومنوهين بمياهها العذبة المتدفقة ومركزين على ما تزخر به من ثروات طبيعية واقتصادية زادت مكانة بين عمائر المغرب العربي ، فحين لم ترق للبعض الآخر منهم وقد سجلوا مأخذهم عنها، وما يزال التاريخ يحفظ الكثير من تلك الانطباعات والآراء المتباينة والتي يجد الباحث بين طياتها صورة مليانة الحقيقية لأنه كما قالت العرب قديما بضعها تعرف الأشياء وسنحاول استطلاع أخبار مليانة من خلال ما رواه عنها من عرفها في العهود الخوالي.

1-3-1 اهتمامات الكتاب العرب المسلمين بمليانة:

لعل المستقضي لأخبار مليانة يجد لها حضورا متميزا في كتب الرحالة والجغرافيين والمؤرخين العرب المسلمين الذين وقفوا على ما تزخر به من إمكانيات ومقومات حباها المولي عز وجل بها وميزها عن سواها من المدن المجاورة، فعمدوا إلى تقييدها وهي بذلك تعتبر شهادات حية لما لمسوه وما سمعوه عنها، وقد ارتكزت كتاباتهم خاصة على الفترة الإسلامية من حياة المدينة مع بعض الاشارات الطفيفة لما سبقها من فترات تاريخية مهمة، لكن المتتبع لتلك التسجيلات يجدها لا تخرج عن وصف الطبيعة وتدفق المياه والإشارة إلى الثمار والخضار، في حين غاب عنها الوضع السياسي للمدينة والتطور السكاني ونادرا ما يجد الدارس اشارة ولو بسيطة تتعلق بالحراك الثقافي الذي كانت تعرفه مليانة وما جورها ابان العصر

الوسيط وصولاً إلى الفترة الحديثة وهو ما يجعل من كتابات تلك الفترة مقتضبة لا تشبع نهم الباحث وما ورد فيها من المادة التاريخية بشأن مدن حوض الشلف قليل.

ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (ق4/هـ/10م)^[5]:

أشار ابن حوقل في كتابه إلى مدن وقرى حوض الشلف عامة^[6]، كما عرج على مدينة مليانة بالوصف حين ذكر تاريخها ووصف جغرفيتها ولكن بشكل مقتضب جداً، وقد عبّر عن في كتابه صورة الأرض عن ذلك بقوله: "مليانة مدينة أزلية ولها أرحية على نهرها وسقي كثير في أوديتها ولها حظ من نهر الشلف، ولها سوق صالح ولها فواكه..."^[7].

أ) البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز (400هـ/1010م - 487هـ/1094م):

الظاهر أن البكري لم يزر البلدان المغاربية وإنما اكتفى بوصفها في كتابه "المسالك والممالك"، ناقلاً عن سبقوه، وقد قال عن مليانة بأنها مدينة رومانية ثم جدد بنائها زيري بن مناد الصنهاجي وأسكن ولده بلكين بها وهي تشرف على بني واريغن^[8] وهي عامرة أهلة على نهر ولها أبار عذبة الماء وسوق جامع^[9].

ج) الشريف الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله (493هـ/1100م - 560هـ/1166م)^[10]:

زار الشريف الإدريسي بلاد المغرب الأوسط وتجول في بعض المدن وترك عدة انطباعات هامة عن المدن التي حل بها وقد ضمنها في كتابه الموسوم ب: "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق".

وقد أشار إلى مدينة مليانة في كتابه بأنها ذات تاريخ عريق فضلاً عن كونها تتمتع بموقع جغرافي متميز إذ تجري بها أودية وأنهار وإلى الجنوب منها نجد الجبل المسمى ونشريس^[11] الذي تسكنه قبائل بربرية^[12].
د) **ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله (574هـ/1178م)**^[13]:

معلومات ياقوت الحموي عن مليانة أشبه ما تكون بمن سبقوه ولم يأت بجديد في وصف المدينة "...مليانة في آخر إفريقية، بينها وبين تنس أربعة أيام وهي مدينة رومانية تطحن عليها الرحي جدها زيري بن مناد وأسكنها بلكين"^[14]

هـ) **القزويني زكريا بن محمد بن محمود (605هـ/1203م - 682هـ/1283م)**^[15]:

يعتبر القزويني أول من أشار إلى في كتابه "آثار البلاد وأخبار العباد" إلى حمام ريغة المعدني الواقع في السفوح الشرقية لجبل زكار الشرقي، وقد جاء في حديثه عن مليانة مايلي: "مليانة مدينة كبيرة بالمغرب من أعمال بجاية مستندة إلى جبل زكار وهي كثيرة الخيرات وفيرة الغلات مشهورة بالحسن والطيب، وكثيرة الأشجار وتدفق المياه. حدثني الفقيه أبو الربيع سليمان الملياني أن جبل زكار مطل على المدينة، وطول الجبل أكثر من فرسخ، ومياه المدينة تتدفق من سفحه، وهذا الجبل لا يزال أخضر صيفاً وشتاءً، وأعلى الجبل مسطح يزرع"^[16]، وبالقرب من المدينة حمامات لا يوقد عليها ولا يستسقى ماؤها بنيت على عين حارة عذبة الماء يستحم بها من شاء...^[17].

و) العبدري البلنسي أبو عبد الله محمد (ت بعد
1289/هـ688م)^[18]:

زار العبدري مدينة مليانة وسجل بها انطباعاته عن أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية كما لفت نظره تراجع الحياة التعليمية والثقافية، وفي هذا الصدد يقول "...وبها جامع عظيم مليح عجيب، يدعو الشوق من رآه فيجيب، ولكن الزمان قد عوضه من حلي عطلاً وأدى له من حكمته خطلاً، وأبدل هالته السهي من تلك الأعمار وكساه بعد الحبر الأظمار وأحل حاله بعد الأنس بأنسها وحشة العمار..."^[19].

ز) الحميري محمد بن عبد المنعم (ت 727/هـ1327م)^[20]:

حذا حذو من سبقوه في وصف المدينة إذ اكتفى بنقل ما رواه الأولون ولم يأت بجديد، وقد ذكر بأن السلطان الحفصي أبي زكريا ملك إفريقيا قد زار المدينة، كما تحدث عن سوق ريغا الواقع شرق مليانة الذي يقام كل يوم جمعة من الأسبوع^[21].

ح) ابن بطوطة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي
(703/هـ1304م - 779/هـ1377م):

وصل ابن بطوطة إلى مليانة قادماً من تلمسان واستقر بها عشرة أيام، والتقى فيها بالقاضي التونسي أبو عبد الله النفزاوي وأصحابه وقد جاء وصفه مقتضباً، ثم عرج على حمام ريغة الشهير خلال إقامته بالمدينة^[22].

ط) الوزان الفاسي الحسن بن محمد (ت 888/هـ1483م)^[23]:

أشار الحسن الوزان في كتابه "وصف إفريقيا" أن الرومان هم أول من أسس مليانة وقال عنها أنها تشبه مدينة نارني الإيطالية (Narni)

الوقعة شمال ايطاليا بنحو 90 كلم، وتقع مليانة في سفح جبل زكار الغربي، وتحيط بها العيون من كل جهة، كما تحفها أشجار الجوز. ومدينة مليانة محصنة داخل الأسوار وأهلها حرفيون، حيث يصنعون أواني خشبية ويشغلون بصناعة النسيج، ولما دانت المدينة للعثمانيين فرض عليهم خير الدين باشا الضرائب^[24].

**ي) أليوسي الحسن بن مسعود
(1040هـ/1630م) (1102هـ/1691م)^[25]:**

ورد في كتاب أليوسي الموسوم بـ"المحاضرات" حديث عن الوالي الصالح الشيخ أحمد بن يوسف²⁶ الملياني، فقد ذكر بأن طلبة العلم كانوا يشدون الرحال إليه للاستفادة من علمه، وهنا يقول: "حدثونا عن سيدي عبد الله بن عمرو المصغري، أنه ارتحل إلى مليانة لقصد ملاقة الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن يوسف الراشدي والأخذ عنه^[27].

ك) حمدان بن عثمان خوجة (1773هـ-1845م)^[28]:

أشار حمدان خوجة في كتاب المرآة إلى أن مناخ مدينة مليانة الصحي ، وأتى على ذكر الأرض المليانة فوصفها بالخصوبة ، ولسنا نعلم هل يقصد حمدان خوجة المناطق الجبلية المحيطة بمليانة، أم سهول الشلف الواقعة جنوب المدينة وإذا كان يتكلم عن مليانة فإن فقيرة من حيث السهول لكونها تقع في منطقة جبلية وهي لا تسمح لها بممارسة مختلف النشاطات الزراعية أما إذا كان يقصد سهول الشلف الواسعة فذلك أمر مقبول، ويبدو أن السيد حمدان قد اختلط بسكان المدينة وتعامل معهم ، وذلك حينما أشار إلى خبايا نفوسهم فوصفهم بالعناد^[29]، وعرج على ذكر صنائعهم التي لا تكاد تخرج عن الفلاحة وأما عن غيرها فهم عاجزين عن

امتلاك أي حرفة من الحرف سوى حرفة تجفيف الفواكه، وصناعة نوع من المعجون بعصير العنب، ولعل السؤل الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا بالرغم من الإمكانيات التي تتمتع بها مدينة التي تتمتع بها مدينة مليانة ولكنها بقيت فقيرة من حيث التطور الاقتصادي في العهد العثماني فهل ذلك يعود إلى عزلة مليانة بسبب موقعها المنبس وسط جبال زكار، أم إلى عجز السلطة العثمانية في الجزائر عن الارتقاء بالمدن الجزائرية والنهوض بها واستغلال مقدراتها، غير أننا نجد أن تلك السلطة قد أمعنت في ائثار كاهل الشعب بالضرائب وتكديس الأموال في الخزينة العمومية دون استثمارها في مشاريع اقتصادية واجتماعية وثقافية تعود بالنفع على البلاد والعباد،

(ل) الشيخ عتبة الجبلاي بن عبد الحكم (1887م/1964م)^[30]:

قال عنها في كتابه "المرآة الجليلة في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف لمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية": "مليانة بلدة حسنة ذات منظر حسن أسست على سفح جبل زكار وتشرف على سهول الشلف وتحيط بها الحدائق ذات المناظر الجميلة والفواكه المختلفة من زقالة^[31]، والعيون الدائرة بمليانة، مأوها عذب يتصبب من جبل زكار وبها حديقة للنزهة، شجرها ملتف لا تنفذ منه أشعة الشمس، وزاد مليانة رونقا، وجود ضريح ومقام الغوث السيد أحمد بن يوسف محله وسط المدينة، يحتوي على زاوية، وتشمل بيوت وغرف للزائرين والوافدين عليه، وعلى الجامع الذي يتصل بالضريح وتقام به الجمعة، وعليها سور يحيط بها وقد أسسها بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي في القرن العاشر من الهجرة. وقد وقعت مليانة تحت لواء

الأمير عبد القادر منذ 1834م، وجعلها مركزاً لولايته إلى أن افتكتها منه الدولة الفرنسية، ويقع إلى الشرق من مليانة حمام ريغة يقصده المرضى".^[32]

لعل أهم ما يميز انطباعات الكتاب العرب المسلمين سواء كانوا رحالة أو جغرافيين أو مؤرخين حول مدينة مليانة هو تشابه انطباعاتهم سواء تلك التي كتبت في العصر الوسيط أو خلال الفترات الحديثة والمعاصرة وكأني بهم قد اغترفوا من بحر واحد تقريبا ولذا كانت انطباعاتهم تشبه بعضها البعض وهي في مجملها لا تكاد تخرج عن تسليط الضوء على الطبيعة والتغني بجمالها بما في ذلك الجو الملائم والمياه الدائمة الجريان أو تلك التي يتداوى بها والموجدة في حمام ريغة، في حين نلاحظ اهمال أو تغافل تلك الكتابات عن الواقع الديموغرافي للمدينة وتركيبية السكان ومدى تعايشهم مع سكان المناطق المحاذية أو ممن نزلوا في جوارهم^[33]، والسؤال المطروح لماذا جاءت الكتابات الإسلامية عن المدينة مقتضبة وكان تركيزها على جوانب بعينها؟ وبالمقابل لماذا أهملت بقية الجوانب الأخرى؟ هل ذلك يعود لعدم أهميتها في نظر أولئك الكتاب أو أن إقامتهم بالمدينة كانت قصيرة وعليه لم تظهر كثير من المعطيات في تقايبهم وتسجيلاتهم وما يعاب على تلك الكتابات لم تخصص حيزا لصناعة التعليم العربي الإسلامي بالمدينة ولم تصف حالة التصوف الإسلامي بها على عهد الشيخ أحمد بن يوسف قطب الشاذلية، ولا الذين جاءوا من بعده وجمعوا بين العلم والتصوف وقد طبقت شهرتهم الأفاق في المنطقة المغاربية والعربية^[34].

2-3-1 انطباعات الكتاب الغربيين حول مليانة:

(أ) مار مول كريخال (*Marmol*): عاش في ق 16م^[35]:

اعتبر مار مول أن مدينة مليانة واحدة من أهم المدن التي بناها الرومان وقد وردت عنده بتسمية مليان (*Milane*) كما ذكر بانه في القديم كانت تسمى منيانة (*Magnana*)، وما يميزها وفرة الماء، كما تشتهر بزراعة أشجار الجوز فضلا عن توفرها على مياه الينابيع الحارة (الحمامات المعدنية)، وفي هذا الصدد يقول: "تحيط بالمدينة أسوار قديمة مرتفعة محصنة البناء، يوجد في أسفلها واد عميق، وإلى الأعلى منه تمتد المدينة في سفح الجبل، بها عدد من الينابيع وسكانها معروفون بغلظتهم...، تنمو بها أشجار البرتقال التي تعتبر من أجود الأنواع والمردود الوفير وتباع في تنس".^[36]

(ب) فانتور دوبارادي جون ميشال *Venture Deparadis Jean Michel* (1739م/1799م)^[37]:

ذكر الكاتب أن الأرز يزرع في مليانة كما يزرع في ناحية مينا، وقد قدر إنتاجه ما بين خمسة وستة آلاف قنطار لسد حاجيات البلد ويغني عن الاستيراد من مصر، ونوه الكاتب بخصائص أرز مليانة وقال "إن الأتراك كانوا يفضلونه لكونه لا ينكسر أثناء طهيه".

(ج) بوتان فانسون إيف *Vincent Yves Boutin* (1772م/1815م)^[38]:

تناول مليانة في معرض حديثه عن المسالك في الجزائر حيث ذكر الطريق الرابط بين وهران والجزائر، حيث وصف مدينة مليانة بالمدينة الصغيرة التي أنشأت على أنقاض مدينة قديمة، كما استرعى انتباهه تدفق

المياه من الجبال الواقعة على اليمين والمستخدمة في السقي، كما استهجن الإفراط في زراعة الأرز التي أضرت بالمنطقة وجعلتها غير صالحة، والناس حولها يسكنون الخيام.^[39]

2- مازونة:

مدينة مازونة تعتبر من المناطق العريقة في حوض الشلف تقع بقلب بجبال الظهره هي الأخرى^[40] يعود تاريخها إلى أزمنة غابرة ، وقد أشار إلى ذلك الكاتب الاسباني مارمول حين قال: "إن مازونة مدينة قديمة أسسها الرومان". هذا هو الطرح الذي عودتنا عليه المدرسة التاريخية الغربية على أن كل شيء قائم في الجزائر تنسبه إلى الفترة الرومانية القديمة أو الفترة الاستعمارية الحديثة، وكأن بالسكان المحليين كانوا مكتوفي الأيدي ليس لهم أي نشاط يذكر وهم في انتظار المستعمر الأجنبي ليصنع لهم ما يحتاجون، لكن بعض المكتشفات والحفريات تدل على أن تاريخ مدينة مازونة أبعد من بكثير مما ذكره مارمول.

أما الحافظ أبو رأس الناصر^[41] المعسكري الراشدي فيقول بأن مدينة مازونة هي مدينة مغراوة بنها منديل بن عبد الرحمن أول القرن السادس الهجري الموافق للقرن ثاني عشر الميلادي.^[42] غير أن الشيخ المهدي البوعبدلي ذكر في كتابه تاريخ المدن أن مدينة مازونة تأسست سنة 565 هـ / 1170 م.

ويذكر محمد بن يوسف الزياني^[43] أن مازونة دمرت سنة 665 هـ/1267م، وأشار إلى أن مغراوة قد ملكوا ضواحي إفريقية قبل مجيء الإسلام ومواطنهم الأصلي قرب مليانة وقد أقاموا ملكهم وأسسوا إمارة

عرفت ببني خزر ولما كانت واقعة البطحاء بينهم وبين بني زيري فانتهدت بتفرقهم بالمغرب والأندلس ومنهم فرقة بليبيا تدعى بني خزون، ثم رجحوا إلى المغرب الأوسط وأسسوا مازونة وقد ملكوها، ومازونة اسم قبيلة من زناتة لأن اسم أبيهم مازون، وقد اندرست في التاريخ المذكور سلفاً.^[44]

2-1 الموقع:

تقع مدينة مازونة في قلب جبال الظهرة على ارتفاع يقدر بنحو 700 متر تقدر المسافة بينها وبين البحر المتوسط حوالي 30 كلم وإلى الجنوب منها بنحو 7 كلم يقع واد الشلف، ولقد كانت مازونة مثار إعجاب العديد من الرحالة والجغرافيين سواء من العرب المسلمين أو الأوروبيين.

وقال عنها الشريف الإدريسي: "وهي على ستة أميال من البحر شرقي حوض فروخ بين جبال ذات أنهار ومزارع وبساتين وأسواق عامرة ومساكن مؤنقة من أحسن البلاد بقعة وأكثرها فواكه وألباناً وسمناً وعسلاً".

2-1 مازونة خلال العهد العثماني:

خلال النصف الثاني من القرن 16 (1550م) تم تعيين أول باي على مازونة وهو حسن بن خير الدين باشا ثم خلفه الباي أبو خدية وبعده جاء الباي صواق وقيل أنه مات مسموماً ثم تربع على العرش الباي السايح المازوني الذي لبث في الحكم إحدى عشر سنة غير أننا لا نعرف عدد البايات بالظبط الذين تعاقبوا على مازونة عاصمة البايليك الغربي للإيالة الجزائرية.

وفي سنة 1098 هـ الموافق لـ 1686م تولى مصطفى بوشلاغم حكم البايليك وقد نقل العاصمة من مازونة إلى أم عسكر سنة 1205هـ/1791م^[45]، ولا نعرف ما هي الدوافع الحقيقية الكامنة وراء هذا التغيير في مقر العاصمة من مازونة إلى أم عساكر^[46]، هل ذلك يعود إلى العامل الأمني بحيث صار بايليك الغرب أكثر أمناً من ذي قبل وعليه تم نقل عاصمته من مرتفعات الظهر الوعرة إلى سهول أم عساكر الفسيحة؟ أم أن الأقلية التركية والطائفة الاندلسية والعناصر الكرغلية قد ضاقت ذرعا بالمكان وكنت ترغب في الاقتراب من السواحل حيث تتواجد معظم المجموعة الحضرية؟ أم ذلك يرجع إلى رغبة صناع القرار في الجزائر العثمانية إلى تقريب مقر عاصمة البايليك من الثغور ومناطق التماس التي هي في قبضة المحتل الإسباني لتقديم الدعم المادي والمعنوي خلال فترات المواجهة، غير أن السؤال الذي يفرض نفسه بالباح هو: هل فقدت مازونة وزنها التعليمي سمعتها الثقافية والدينية بانتقال مقر العاصمة منها إلى أم عساكر؟

المعروف عن حكام بني عثمان في الجزائر أنه لم يكن لدى الغالبية منهم ولاع بشؤون العلم ولا اهتمام بأحوال العلماء ولم ينفقوا من خزائنهم الخاصة والعممة التي مفاتها تنوء بالعصبة أولى القوة على تطوير المدارس والنهوض بأمر التعليم وترتيب الرواتب الشهرية للمعلمين والشيخو القائمين عليه ورصد الجوائز والمكافآت للمتفوقين من طلابه اللهم إلا القليل منهم، بل ظلت تلك القناطر المقنطرة من الذهب والفضة ترقد في الصناديق إلى غاية أن استلمها المار يشال د بيرمون من أمين الخزينة وفق اتفاق أبرم مع داي الجزائر 05-07-1830م.

المهم إن تغيير مقر عاصمة البايليك إلى أم عساكر لم يسرق الأضواء من مازونة العتيقة، التي ظلت أعناق المتعلمين والعلماء تشرئب إليها، ذلك لأن مدرسة مازونة آنذاك لم تكن تعول على صدقات الحكام ولا هبات الأمراء، بل شمردت ساق الجد للنهوض بمهمة التربية والتعليم وفق ما هو متاح لها من إمكانيات^[47] شأنها في ذلك شأن جل المدارس التعليمية في الجزائر التي لم تكن تتلقى دينارا ولا درهما بل كانت مسيرتها متوقفة على جهود المحسنين من أبنائها، وهكذا تصدت مدرسة مازونة للقيام بالرسالة التعليمية اعتمادا على إحدى العائلات الأندلسية الهاربة من لظى حروب الاسترداد أو التطهير العرقي والديني الذي شهدته بلاد الأندلس وتوالي سقوط مدنها الواحدة تلو الأخرى في قبضة القوى المسيحية الناشئة إلا أن كان سقوط آخر معقل للمسلمين بها ألا وهو غرناطة في شهر 2 جانفي 1492، وقد حاز قصب السبق في تأسيس المدرسة الفقهية أحد الأعيان الأندلسيين المعروف بالشيخ محمد بن شارف وذلك في سنة 1029هـ الموافق لـ 1620م، والذي أغدق عليها من ماله الخاص وتولى مهمة التدريس بها ما يربو على نصف قرن ونيف إلى أن انتقل إلى جوار ربه وقد دفن بمدرسته على عادة كثير من الشيوخ المتصوفة وهم في ذلك يقتادون بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقول في معناه أن النبي حينما تقبض روحه يدفن في المكان الذي مات به.^[48]

2-3 تأسيس المدرسة الفقهية بـمازونة:^[49]

يعتبر الشيخ محمد بن الشارف^[50] شريف النسب حيث يتصل نسبه بآل البيت عبر الشجرة الحسنية وفي هذا الصدد يقول القاضي حشلاف: "وهو فرع من فروع مولانا عبد العزيز الحاج أحد حفدة الشيخ بوطالب

بن الشيخ ابن الشارف المازوني فمنهم شيخنا وشيخ إفريقيا على الإطلاق المرحوم الشيخ سيدي محمد بن سيدي هني المكني أبي راس، سمي جده الإمام الشيخ أبي رأس المعسكري الناصري، فكان رضي الله عنه توفي في مارس 1917م^[51]، وقد كان جدهم الأول يسكن بالقرب من مستغانم وذلك بإشارة من شيخه أحمد بن يوسف الملياني، ثم ارتحل إلى مازونة واعتكف على تدريس العلوم الدينية خصوصاً الفقه المالكي وجل طلبته يحفظون المختصر ولهم سبق على غيرهم من الطلبة.

2-4 خصوصية مازونة التعليمية:

• التركيز على مادة الفقه المالكي: لعل أهم ما اتصف به طلبة مازونة خلال العهد العثماني ثم فترة الاحتلال الفرنسي هو قراءة مختصر الشيخ خليل وحفظه معناً ولفظاً، كما ذكر الحافظ محمد أبو راس الناصر.

وتصدرت مازونة الساحة العلمية والثقافية في بايليك الغرب وذلك بعد أقول نجم عاصمة الزيانيين تلمسان وهجرة علمائها إلى المغرب الأقصى عندئذ بدأت مازونة تستقطب وفود العلماء والطلبة المتعطشين إلى دراسة الفقه المالكي والتمكن منه، غير أن المعهد الذي كان ينافس مازونة في تدريس الفقه المالكي وأدواته من نحو وصرف هو معهد القيطنة^[52] بأم عساكر، وكذا القلعة الراشدية التي تخرج منها فطاحل العلماء والفقه والنحو وغير ذلك من علوم العصر، ومن أشهر طلبة مدرسة مازونة الفقهية خلال العهد العثماني نذكر بعض ممن نبغوا في شتى الفنون لا سيما الفقه المالكي:

الشيخ الفقيه العلامة المؤرخ أبو راس الناصر: (1150هـ/1737م-
1238 هـ/1823م) الذي سبقت الإشارة إليه في هذا الفصل وقد جمع
بين التعليم والتأليف وقد جال في المغارب والمشارك ونال اجازات أكابر
العلماء والمشايخ.

الشيخ الفقيه محمد بن علي السنوسي: (1202 هـ/1791م - 1276
هـ/1859م) انتقل من مستغانم إلى مازونة سنة 1221 هـ لدراسة الفقه
المالكي⁵³ وفي غضون ذلك تمكن من تحصيل عدة علوم ولندع الشيخ
السنوسي يتحدث عن رحلته العلمية مع شيوخه هناك بمازونة: " فممنهم
وهو أجلهم وأكملهم وأفضلهم ناصر الدين المعمر الجهبذ الأكبر الوالي
الأشهر مهيع العلوم والمعارف أبوطالب سيدي محمد بن علي بن الشارف
قرأت عليه النصف الأول من المختصر مرارا قراءة تحقيق وتدقيق مطرزة
بجزيل الفروع النقلية والفوائد السنوية يلتزم شرح خرشي غالبا مع حاشية
عليه وقد بلغ فيها باب الرهن...إلى أن قال وقرأت على حفيده أبي
العباس أحمد بن هني النصف الثاني من المختصر مرارا بأمر منه
وسمعت عليه مجالس البخاري ومثلها من مسلم والموطأ وأخذت عليه
علم التوحيد وناولني شرحه الكبير على صغرى الشيخ السنوسي وكن
الجامع له بأمره قائلا لي أولى به منكن كما ناولني البخاري ومسلم
وحاشيته المذكورة في جزئين ضخمين وأجازني في ذلك كله".^[54]

ولما زال الحكم العثماني بالجزائر واصلت مدرسة مازونة أداء مهمتها
التعليمية طيلة قرن بالرغم من المضايقات التي تميزت بها الإدارة
الاستعمارية الفرنسية تجاه مدارس التعليم العربي الإسلامي وحل بها

الطلبة الأبعد قبل الأقارب ولما ضاق بهم المكان جرى توسيعه سنة 1852 من الأوقاف.

[1] - المقصود بذلك التعليم الذي يقوم على الطرق البداعوجية الحديثة مستعملا الوسائل المعتمدة لدى المدارس النظامية التي تشرف عليها الإدارة الاستعمارية مثل وحدة البرامج والتفتيش والعطل والبعثات العلمية وهذا لم يكن معهودا لدى المدارس التقليدية التي كانت منتشرة في كل ناحية من حوض الشلف.

[2] - مولاي بلحميسي، "مدينة مليانة عبر العصور"، مجلة الأصاله السنة الثانية العدد8، ربيع الثاني جمادى الأولى 1392هـ/ماي، جوان 1972 م، مطبعة دار البعث قسنطينة الجزائر، ص140.

[3] - أحمد طهراوي، مدينة مليانة موقعها الجغرافي ودورها الإقليمي، "حوليات التاريخ والجغرافيا"، العدد 5، جوان 2012، ص236.

[4] - عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، تحق: خليل شحادة، هيل زكار، ط 1، دار الفكر بيروت لبنان، ص204.

[5] - تعريف ابن حوقل: عاش الرحالة أبو القاسم بن محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي في القرن (4هـ/10م)، تنقل بين الأقاليم كتاجر، ومن خلال تلك التنقلات اطلع على مختلف مظاهر حياة الشعوب ونشاطاتها، وقد قام برحلته سنة (331هـ/943م)، وكتب مؤلفه المسالك والممالك، والمفاوز والمهالك، وذكر الأقاليم والبلدان ثم غير العنوان إلى صورة الأرض.

[6] - أبو القاسم بن حوقل، كتاب صورة الأرض، د ط، دار الكتاب الإسلامي القاهرة مصر، د.ت.ن، ص 5، 11.

[7] - أبو القاسم بن حوقل، نفس المصدر السابق، ص89.

[8] - بني وريفن يقصد بها المناطق المجاورة لمدينة الشلف الحالية وقد اشتهرت بهذا الاسم عند البربر والفنيين من بعدهم وقد اشتهرت بنشاطها التجاري وسوقها العامر الذي كانت تؤمه قبائل مغراوة وبني وارسفن ومطغرة وبني وطيل وبني توجين من مطماطة، وقد شكلت مركز عبور ونقطة اتصال بين تلك القبائل المذكورة سلفا وهذا لنشاطها التجاري وشهرة منتجاتها وحيوية سكانها. راجع: محمد دومة بالعاليا، "أضواء على مدينة الشلف عبر العصور"، محاضرة ألقيت بنادي المجاهدين مارس 2005، ص5.

[9] - أبو عبد الله البكري: ولد البكري بالأندلس وهو من عائلة تولت الإمارة بغرب الأندلس، درس في حاضرة قرطبة، وقد اهتم بالجغرافيا، وقد ألف كتابه "المسالك والممالك" سنة (460هـ/1068م)، وقد ضمنه العديد من المعلومات عن البلدان العربية والإسلامية في شتى مناحي الحياة. راجع: ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي في المغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين رحالة

جغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص ص50، 55. راجع كذلك: أبو عبد الله البكري، كتاب المسالك والممالك، ج2، (د.ط)، الدار العربية للكتاب، قرطاج، تونس، 1992، ص725.

[10] - ولد الإدريسي بمدينة سبتة بالمغرب الأقصى شريف النسب، درس في قرطبة، طاف في أرجاء عديدة من أوروبا وآسيا الصغرى وإفريقيا واستقر به المقام عند الملك النورماني روجر الثاني بجزيرة صقلية في باليرمو (532هـ/1137م) من أشهر مؤلفاته كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق" الذي كتبه عام (549هـ/1154م).

[11] - الونشريس الجبل الموجود ضمن سلسلة الأطلس التلي يصل ارتفاع أعلى قمة به إلى 1985 م وقد أطلق عليه الفرنسيون تسمية "عين العالم" (*L'œil du Monde*) أما عند الجيش الفرنسي فيعرف بالكاتدرائية ويعرف بالهرم لكون أعلى قمة به تشبه الهرم وهي كاف سيدي عمر. راجع: *Xavier Yacono, les bureaux, op.cit, p.30.*

[12] - أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تحق: إسماعيل العربي، د ط، د.م.ج بن عكنون الجزائر، 1983، ص154.

[13] - ياقوت الحموي: مؤرخ وجغرافي، ولد في بلاد الروم تعرض للأسر في صغره تم بيعه في بغداد اعتقه مولاه عسكري الحموي (596هـ/1199م)، طاف في أرجاء سوريا والعراق وإيران، استقر في حلب، حيث مات بها ترك عدة مصنفات أهمها "معجم الأدياء ومعجم البلدان".

[14] - شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، ج5، د ط، دار صادر ودار بيروت لبنان، ص196.

[15] - القزويني: يرجع نسبه إلى أنس بن مالك (ض)، اشتغل بالقضاء ولد في بلاد فارس بمدينة قزوين بين رشت وطهران، ثم ارتحل إلى الشام والعراق، ولاه الخليفة العباس قضاء وسط الحلة من أشهر مؤلفاته عجائب المخلوقات وآثار البلاد وأخبار العباد. راجع: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج3، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، ص46.

[16] - غريبة هذه الإشارة التي ذكرها القزويني دون غيره من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين، ونحن بدورنا نستبعد أن تكون قمم جبال زكار بقسميه الشرقي والغربي صالحة للزراعة لكونها خلال فصل الشتاء تكمل بالثلوج، فضلا عن طبيعة التربة بها غير مناسبة للزراعة لكونها قمم صخرية خالية من النبات الطبيعي مثلما هو عليه الحال في أيامنا هذه.

[17] - زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص273.

[18] - ولد العبدري بإقليم حاحة في المغرب الأقصى تعلم على يد علماء بلدته أدى فريضة الحج، وقد جاب بلاد المغرب ومصر، والتقى العلماء والفضلاء. راجع: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1350هـ/1930م، ص27.

[19] - محمد العبدري البلنسي، **الرحلة المغربية**، تحقق: أحمد بن جدو، منشورات كلية الآداب الجزائرية، مطبعة دار البعث قسنطينة الجزائر، (د.ت.ن)، ص ص 22، 23.

[20] - هو محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري، عاش بمدينة سبتة المغربية، اشتهر بقوة حافظته، درس علوم الحديث، اللغة والفلسفة، زار بلاد الأندلس وله كتاب "الروض المعطار في خبر الأقطار". راجع: محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقق: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، 1984، ص12.

[21] - نفسه، ص280.

[22] - ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج1، تحقق: التازي عبد الهادي، مط أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، ص158.

[23] - يعرف هذا المؤلف عند الأوربيين باسم ليون الإفريقي، ولد في غرناطة من أصول مغربية، درس بالقررويين سافر في عدة أقطار مشرقية ومغربية أثناء عودته إلى المغرب وقع في الأسر في مدينة جربة عام 1519م، في يد قرصنة إيطاليين، حيث اقتادوه إلى الباباليون 10 فأكرمه وقربه وأعطاه اسم ليون الإفريقي، وخلال إقامته بإيطاليا تعلم ليون الإيطالية، واللاتينية، الإسبانية والعبرية، وله عدة مؤلفات أشهرها وصف إفريقيا الذي كتبه بروما سنة 1526م، وطبع سنة 1550م.

[24] - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ج1، ط2، تر: محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص34.

[25] - الحسن بن مسعود اليوسي: الفقيه المالكي المغربي، رحل في طلب العلم في الجنوب والغرب، حيث حل بسجلماسة ومراكش وإقليم سوس، وبعد أداء فريضة الحج استقره المقام بفاس، أشهر مؤلفاته كانت في الفقه والحديث والرحلة والأدب. راجع: الزركلي، **نفس المصدر السابق**، ج2، ص223.

[26] - الشيخ أحمد بن يوسف الملياني: (840 هـ / 1436 م - 934 هـ / 1527 م) الراشدي دارا الشاذلي طريقة الملياني ضريحا تعلم على الشيخ أحمد زروق البرنسي وكذلك الأستاذ أبي يعزى في المغرب الأقصى، وقد تأثر بكبار المتصوفة، وقد آل إليه أمر الطريقة الشاذلية كما عاصر دخول العثمانيين على الجزائر وتحالف معهم ضد سلطة بني زيان المرتمية في أحضان الاسبان لم يؤلف الشيخ أحمد بن يوسف كتابا حسب علمنا بل ألف رجالا على عادة المتصوفة من قبله وبعده على حد قول الشيخ أبو الحسن الشاذلي: "كتبي أصحابي ومريدي" بقي اسمه بعد وفاته يخلق في الأفاق الشلفية وغيرها من ربوع الجزائر والمغرب العربي. رجع: مولاي بلحميسي، **نفس المرجع السابق**، ص149.

[27] - الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي، **المحاضرات في اللغة والأدب**، د.ط، تحقق: حاجي محمد الشرقاوي، إقبال أحمد بيروت لبنان، 1982، ص87.

[28] - حمدان خوجة من أسرة ذات ثروة وجاه، كانت تمتلك أملاك جمة في سهول متيجة وعقارات في دار السلطان، وقد لعب أفرادها أدواراً هامة في تسيير شؤون البلاد، وقد جمع حمدان خوجة إلى

جانب التعليم الديني معرفة اللغات الفرنسية والانجليزية، وكان كثير الأسفار من أشهر مؤلفاته المرأة الذي كتبه سنة 1833م بفرنسا. راجع: حمدان خوجة بن عثمان خوجة، المرأة، نقد، ترج، تحقق: الزبير محمد العربي، ط 2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982، ص ص 11، 12.

[29] - تكاد تخلو الدراسات العربية الإسلامية التي سجلت انطباعات عن مدينة مليانة من وصف حالة السكان والغوص في خلجات نفوسهم اللهم إلا ما ورد في شكل إشارات لا يستطيع الباحث أن يبني عليها موقف صادق أو يتمكن من إصدار حكم نزيه.

[30] - هو الشيخ الجليلي عتبه بن عبد الحكم: (1878-1966) يتصل نسبه بالوالي الصالح سيدي بن صفية، درس القرآن الكريم في في مسقط رأسه بالعطاف، ثم شد الرحال إلى منطقة عين امران، أين أتم حفظ كتاب الله، وبعد ذلك رجع إلى زاوية الشيخ بن شرقي بالعطاف فنخرط في دراسة الفقه المالكي وكان ذلك سنة 1317 هـ / 1899 م ولازم الشيخ بن شرقي طيلة تعلمه بزوايته وفي سنة 1324 هـ / 1906م تحصل من الشيخ محمد بن أحمد السوسي خريج كلية القرويين بفاس أحد شيوخ الفقه بالزاوية المذكورة على إجازة علمية تخوله التأديب والتعليم، فشرع في تدريس الفقه المالكي ببلدة بوقلي شرق العطاف لمدة 30 سنة بدون انقطاع، ثم انتقل إلى مدينة الأضنام حيث أسس مدرسة فقهية أطلق عليها اسم مدرسة الفلاح (1944-1935)، ثم خرج منها بعد خلاف حاد حصل بينه وبين بعض أعضاء جمعية العلماء المسلمين، فأسس مدرسة أخرى بمدينة الأضنام دائما (1954-1944) وبد زلزال الأضنام انتقل إلى مدينة غليزان وأسس له مدرسة فقهية بها (1956-1954) وهكذا فقد قضى الشيخ الجليلي بن عبد الحكم المعروف بلقب عتبه مدة خمسين عاما في تدريس الفقه المالكي بمدارس حوض الشلف لم يعرف معها كلالا ولا مللا فضلا عن تأليفه لكتابه الموسوم بكتاب المرأة الجليلة، وقد ورد اسمه في أحد التقارير الأمنية الفرنسية الصادرة عن شرطة بأنه لم يلفت انتباه مصالح الشرطة يوما ما وليس له انتماء سياسي وغير مدان بأي تهمة مطلقا، وفي الختام أكد التقرير على أنه من كبار العلماء المسلمين. راجع الشيخ عتبه الجليلي، المرأة الجليلة في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحيى بن صفية وفي التعريف لمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، ط 1، مطبعة تلمسان، الجزائر، 1953م، ص ص 137، 163.

[31] - زقالة قرية صغيرة تقع جنوب مدينة مليانة

[32] - عتبه الجليلي بن عبد الحكم، نفس المصدر السابق، ص 382.

[33] - لعل من أهم الذين زاروا مليانة في النصف الأول من القرن العشرين الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي لقي بعض من علمائها، كما كانت له فرصة الاطلاع على اهتمامات السكان من خلال إلقاء درسا في أحد مساجدها، لكنه لم يسجل ارتياحه لحالة العزوف التي تميز المجتمع الملياني تجاه العلم والعلماء، وخرج بانطباع من زيارته تلك بأن أهل مليانة ليس لهم شغف بالعلم عكس سكان المناطق المجاورة لها تماما. راجع: عمار الطالبي، كتاب آثار ابن باديس، الجزء الثاني من المجلد الثاني، ط 3، الشركة الجزائرية الجزائر، 1417 هـ / 1997م، ص 309.

[34] - أحمد بن علي الملياني: (ت 715 هـ/1315م) من أشهر أعلام مليانة شاعر وكاتب لجأ إلى المغرب الأقصى عند السلطان يعقوب المريني فأقطعه بلدة أغمات إكراما له. راجع مولاي بلحميسي ، نفس المرجع السابق، ص 149.

[35] - مارمول من مواليد غرناطة مع مطلع القرن 16 الميلادي، بالرغم من صغر سنه رافق القوات الإسبانية غداة حملتها على تونس سنة (942هـ/1535م)، لكنه فضل البقاء في بلاد المغرب العربي، حيث قضى مدة 20 سنة يتجول بينها، له عدة كتب أهمها "إفريقيا" الذي ظهر إلى الوجود سنة (979هـ/1571م)، ويقع في ثلاثة أجزاء. راجع: مرمول كربخال، إفريقيا، ج1، تر: محمد حجي وآخرون، (د.ط)، مكتبة المعارف، الرباط، 1984، ص ص4، 7.

[36] - مرمول كربخال، المصدر نفسه، ج2، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989، ص 359.

[37] - ولد في مرسيليا سنة 1739م، درس اللغات الشرقية بباريس لمدة 05 سنوات ثم صار مترجماً بالقسطنطينية مثل والده الذي اشتغل مترجماً هو الآخر، جال في أقطار عربية عديدة، وفي سنة 1788م حل بالجزائر مكث بها سنتين في منصب القنصل العام، شارك في الحملة الفرنسية على مصر ثم عين مستشاراً ل نابوليون، توفي سنة 1799م. راجع: عبد القادر حلمي، مدينة الجزائر قبل 1830م، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي الجزائر، 1972، ص 223.

[38] - ولد بوتان (1772م-ت 1815م) قرب مدينة نانت خدم في الجيش صار بعد 15 خمسة عشر سنة (1792م-1807م) قائد كتبية سافر إلى تركيا عام 1807م، نزل بالجزائر 1808/05/26م في مهمة تجسسية كلفه بها نابليون بوناپرت إلى غاية 1808/07/17م، وحين عودته إلى فرنسا اعترضت سبيله سفينة حربية انجليزية فرمي في البحر، معظم رسوماته ووثائقه سجن بمالطة ثم فر وذهب إلى اسطنبول ومنها عاد إلى فرنسا، ثم استجمع معلوماته ودونها في مذكرات عرفت باستكشاف عن مدن الجزائر وحصونها العسكرية والتي جاء منها احتلال الجزائر، اغتيل بسوريا سنة 1815م. راجع: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، ط 6، دار البصائر حسين داي الجزائر، 2009، ص 21.

[39] - ودان بوغفالة، نفس المرجع السابق، ص 64.

[40] - لعل أهم ما يلفت انتباه المرء هو تموقع معظم مدن حوض الشلف التي نحن بصدد دراستها خلال فترة العصر الوسيط والفترة الحديثة على جبال الظهر والونشريس و هذا يعزى ربما لاعتبارات أمنية واستراتيجية توخاها مخططو تلك المدن فضلا عنا مناخها الصحي ووفرة مياهها =العذبة المتدفقة من أعلي الجبال، ليس كما هو الحال في أيامنا هذه حيث اكتظت السهول الزراعية الخصبة بالعمران وتفاقت مشاكلنا وجعل غذائنا بأيدي أعدائنا.

[41] - أبو رأس الناصر محمد بن أحمد (1150هـ/1737م-1238 هـ/1823م) ولد بناحية سعيدة تتلمذ على الشيخ عبد القادر المشرفي أتم دراسة الفقه المالكي بمدرسة مازونة واشتغل بالتعليم في أم عساكر مدة تزيد عن ست وثلاثين سنة، وقد أكثر من التأليف لم يضاويه فيها أحد ولكنها لم تخرج

- عن شرح المتون كما ألف في التاريخ وفي الفقه وفي السير، وقد حج مرتين وخالط الملوك والامراء وفتة المنية عن عمر ناهز التسعين عاما. راجع: محمد سي يوسف، "دراسة مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لبي رأس الناصر"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الثاني، السنة 1406 هـ/1986 م، ص 135.
- [42]- محمد أبو رأس الناصر، فتح الإله ومنته في الحديث بفضل ربي ونعمته، تحقق وتعد وتوق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1990م، ص 20.
- [43]- محمد بن يوسف الزياتي: (ت 1320هـ/1902م) ينحدر من منطقة برج ولد المخفي بناحية ام عساكر تعلم بمسقط رأسه، ثم تولى القضاء ببرج المخفي سنة 1278 هـ/1861م من أشهر مؤلفاته " دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران". راجع ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي في المغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين رحالة جغرافيين، ط 1، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1999، 633.
- [44]- محمد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقق وتعد: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة الجزائر، 2013م، ص ص 76، 77.
- [45]- بن عودة المزابي، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تحقيق: يحي بوعزيز، ط خ، دار البصائر حسين داي الجزائر، 2009م، ص 271.
- [46]- نفسه، ص 275.
- [47]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500م-1830م)، ج1، نفس المرجع السابق، ص 313.
- [48]- يوسف بوكفة، مدرسة مازونة الفقهية النهضة والسقوط، مذكرة ماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2002/2003، ص 29.
- [49]- مدرسة فقهية متخصصة في العلوم الدينية من فقه مالكي وتفسير وحديث أسسها الشيخ محمد بن الشارف سنة (1029هـ/1620م) تقع على ربوة بمازونة بمحاذاة الضفة اليسرى للوادي الذي يعبر المدينة من الشمال إلى الجنوب، يحدها غربا مسبح تامدة ومن جهة الشمال والشرق بعض البيوت العتيقة. راجع: خيرة فراحي، جرد لبعض معالم مازونة وعمي موسى وقلعة بني راشد بمنطقة غليزان بغرب الجزائر، مذكرة ماجستير معهد الأثار جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2011/2012، ص 78.
- [50]- محمد بن الشارف: (ت 1164 هـ/ 1755 م) سليل عبد العزيز البلداوي وهو الذي أسس مدرسة فقهية بمازونة في حدود سنة (1029هـ/1620م)، ودرس فيها نحو 65 سنة، وتخرج منه الحافظ الرماصي وقد قام الباي محمد الكبير بن عثمان الكردي بإعادة =
 سبناء المدرسة بعد تحرير وهران من يد الإسبان سنة (1206هـ/1792م)، وفي عهد الاحتلال الفرنسي هدمت المدرسة ولم يبق منها إلا ضريح المؤسس. أنظر: ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي

البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م، ص196.

[51] - عبد الله حشلاف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول عليه الصلاة والسلام، ط1، دار
الذاكر والمذكور البليدة الجزائر، 2006، ص160.

[52] - القيطنة: صرح علمي ديني وثقافي أسسها الشيخ مصطفى بن المختار جد الأمير عبد القادر في
غضون القرن الثالث عشر الهجري وأعاد بنائها الباي محمد الكبير بعد تحرير وهران سنة 1792
م، وقد تقلد الشيخ محي الدين بن مصطفى رئاسة الزاوية بعد سنة (1212هـ / 1798م) وهي السنة
التي توفي فيها والده عند عودته من الحج ببرقة في طرابلس الغرب ودفن هناك بعين اغزالة قرب
درن، وقد ذكر أحد طلبة الزاوية العلوم التي كانت تُدرس بها.

ترى كتب ابن حاجب وخليتنا وألفية بن مالك مع غنية

وسعد وسلم جمع جوامع تفسير وما يتلى كتاب وسنة

يقولون من لنا بكشف رموزنا وحل غريب للفظ عند القراءة

ومعرفة الصحيح من ضده إذا تعارضت الآثار من غير ميزة =

وبعد ثلاثين عاما ونيف من العطاء توفي الشيخ محي الدين بن مصطفى عن عمر ناهز السادسة
والخمسين عاما (1249هـ/1833م)، وبعد عام من مبايعة نجله عبد القادر أميراً للجهاد، وورث الشيخ
محمد السعيد إدارة شؤون الزاوية بعد وفاة والده إلى غاية أن دمرت سنة 1836م من طرف قوات
الاحتلال ويُعثر كُتُبها أو تُهبت كما فُعل بمثيلاتها من قبل. انظر حول الموضوع: الحاج مصطفى
بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح: تق: يحيى بوعزيز، ط خ، دار البصائر حسين
داي الجزائر، 2009م، ص ص48، 49.

راجع كذلك: ناصر الدين سعيدي، المهدي البوعبدلي، نفس المرجع السابق، ص ص228، 229.
[53] - محمد علي الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية بإفريقيا ق 1، ط 1، دار المعرفة بيروت لبنان
1432 هـ/ 2011 م، ص 21.

[54] - ناصر الدين سعيدي، المهدي البوعبدلي، نفس المرجع السابق، ص ص 197، 196.